

ملخص الأطروحة

الفلاحون وهواة الصيد الأوروبيون في مصر خلال الفترة الاستعمارية :
مهمتي الحضارية والوطنية واعتماد الريف على ذاته والاحتجاجات على ممارسات الصيد
(١٨٥٩-١٩١٤)

تعرض هذه الأطروحة تاريخ معارضة الفلاحين المصريين لهواية الصيد الأوروبية - وعلى وجه الخصوص صيد الطيور - خلال فترة أصبحت فيها هذه الممارسة ظاهرة اجتماعية أوروبية شائعة. في المستعمرات، كان صيد الحيوانات مسألة اجتماعية واقتصادية. لقد وُضعت قيود على حرفة الصيد في مصر بينما أصبحت مصر كلها محمية صيد للأوروبيين فقط. من بين حيوانات الصيد المفضلة عند الصيادين الهواة الأوروبيين كانت هناك بعض الحيوانات التي لم يعتد المصريون على اصطيادها بسبب دورها الناجع في تمكين المزارعين من الحفاظ على اعتمادهم على ذات في ظل تنامي احتكار الأرض والاستغلال المتزايد لعمل الفلاحين. على أمل أن تستجيب الدولة بانصافهم، اعترض بعض أعيان وصغار المزارعين على ممارسات الصيادين الأوروبيين. لقد وثقت التشريعات والعريصات والوثائق الإدارية والصحف كثيراً من النزاعات. وبإسم بناء الوطن والمهمة الحضارية للاستعمار، قامت الإدارة المصرية والبريطانية على حدٍ سواء بقمع هؤلاء الفلاحين.

في ظلّ هذه السياق، لا يمكن لنا اعتبار الصراع المشهور الذي حصل بين قرويين وصيادين أوروبيين في سنة ١٩٠٦ في قرية دنشواي كما لو أنه حادثة عرضية أو حالة شغب تلقائية أو استثنائية ذات دلالات محدودة تقتصر على دور النخبة الوطنية على استغلالها باسم النضال من أجل جلاء البريطانيين من مصر. بل تظهر حادثة دنشواي كتمرد اجتماعي وسياسي تبلور على مَرّ نصف قرن من النضال التحرري في المناطق الريفية لمواجهة ممارسات الصيد التي طبّقها النظام الاستعماري. بعد انتفاضة دنشواي الشعبية، تحسن الوضع الاجتماعي للفلاحين بشكل ملحوظ. يمكننا ان نَعزّي بعض تلك الانتصارات على مشاعر الذنب المتنامية التي انتابت بعض الأوروبيين تجاه الطبيعة.

تعرض هذه الأطروحة مقاربات في مجالات دراسات البيئة والحيوانات والفلاحين التابعين للنخبة لتسلط الضوء على مساهمة الفلاحين في حماية الحيوان وكفاح التحرير الوطني، وبذلك تعترف بهم كعامل فعّال في صياغة تاريخهم الذاتي. ذلك التاريخ الذي تم إسكاته على أيدي التأريخ المناهض للاستعمار، سواء كان قومياً أو ماركسياً. إن سياسات الفلاحين المكونة من علاقة أنثروبولوجية-حيوانية مميزة والمبنية على اعتماد على الذات اجتماعياً واقتصادياً، يمكن أن تكون اليوم مصدراً للإلهام.